حالة حب

قصة بقلم رشاد ابو شاور

مددت يدي ، امتلات بالضباب الاخضر . ملات فمي بالعشب . (اريحا بعيدة) .

قال عبدالله : لا استطيع ان اصل الى منطقه الاغوار ..ارجوكم خلوني هنـا ...

(ذكريات عبدالله)

قاعدتنا كان فيها ثلاثة عشر مقاتلا ، وكان رباح هو قائد القاعدة . اخبرني انه عاد من المانيا .. كان قد رحل للدراسة وامضى هنـاك عاما واحدا ، وحدثت هزيمة عام ١٩٦٧ ، ذات يوم كان في احـد البارات يشرب (ويبكي في داخله) التقى بطيار الماني حول المائدة ، ساله ، من اين . اجاب : عربي . ضحك الطيار الالماني طويلا ثـم قال له ، انتم لا تستطيعون الحرب هزمناكم بسرعة ، انا طيـار تطوعت منذ زمن مع القوات الجوية الاسرائيلية .. لقد وصلنا حتى القناة ونهر الاردن عليك ان تذهب لاستقبالنا لاننا سنصل هذه المرة حتى الفرات . الدراسة لن تفيدك ... وقبل ان يخرج ، ابتسم بوجهـه الاشقر ورأسه مائل على كتفه وقال لي : ادفع الحساب فالمغلوب يجب ان يخسر . ودفعت ، ثم حين خرجت عدت الى البيت . بكيت طويلا طويلا ووضعت ملابسي في حقائبي وعدت ..

يضيف عبدالله : لم يبق من القاعدة غيري . كلما نزلـت الى الشونة الجنوبية ، رايت وجوه رفاقي تبتسم لي، لم يبق احد الآي .

هل تعرف ان رباح قتل في صويلح : اوقفته الشرطة العسكرية الملكية واطلقت عليه النار . كان ذلك بعد ايلول . وزع بلاغ فيوسطه صورة رباح : الشهيد رباح ، وكتب عنه رثاء في جريدة فتـح ..كان يعد نفسه لاستقبال الطيار الالماني المتطوع في سلاح الجو الاسرائيلي .

عبدالله يحلم : انه يسير في بوابة الصالحية في دمشق :(حبيبتي دمشق) ينعطف في احد الشوارع . انها تنتظره ، ضحكتها الطفولية تملأ وجهها . تفتح ذراعيها : عبدالله حبيبي ، عيني . انتظرتك منذ عامين) عشرة اعوام، الف عام، رائحتك، زعتر وميرمية وبابونج. دخان السيارات افسد رئتي ، اين كانت نكهة الدم الطالعة من بدنكويكون لنـا طفل .

ما اسمك : ليلى . امل .

انت . انا احب : يقول عبدالله . يخرج من جلده مثل الغيـوم يخرج منها المطر ، يحتضنها ، يدور بها في الهواء ويطيران معا .

ماذا احبك : ما هو مهرك ؟

الفرات ، نهر الشريعة ، عدن ، اضفرها حول عنقك البرونزي، يا عيني بدني مليء بالظمي والاعشاب ونكهة المطر ، والمواويل ، تعالي، انتظرك طويلا . (يبكي عبدالله فرحا) يحكي لها عن المهندس (رباح) الذي عاد من المانيا ، ترك الدراسة وعاد ليمنع الغزاة من الوصول الى النيل والفرات . تتحاضن ابتساماتهما .

عبدالله يغني : الرياح لي والمطر .

التراب والزرع والشجر .

وانت ياحبيبتي يا واحدتي .

تطلع الاغصان من بدنه ، تتكاثر عليها العصافير والدموع، يقول عبدالله : احلم بمدن كثيرة ، بالرحيل في العالم ، بان يكون لي بيت اعوداليه فتنظرينني على عتبته وفي حضنك طفلنا... ياعيني يا حبيبتي .

(عيني يا عيني يا وطني

يا فاتحة الامل القتال

وخاتمة الشجـن) (١)

وقالت لي ما اسمك: عنترة ياحبيبي، هذا لوني، اسود. انا زنجي. تضغطه الى صدرها: يمرغ وجهه في شعرها العابق بنكهة خبز التنور.

انت لا ترين داخلي ، لست حبيبتي ، الحبيبة ترى داخـل حبيبها . يستيقظ عبدالله : اسم الله عليك يا ولدي .

(١) من قصيدة للشاعر احمد دحبور

ـ كنت احلم يا امي .

ترش على وجهه بعض الماء ، ينام ويعود يحلم .

غيمة زرقاء تملأ السماء ، يلد منها اطفال . ما اكثر الاطفال. لكن وجوههم مغبرة ، بعضهم بلا أيد ، بلا عيون ، بلا انوف، تشققت شفاههم .. شوه النابالم براءتهم . لا يبتسمون .

أطفال بحر البقر ، يجيء منهم وفد الى الثورة ويعلنون انضمامهم اليها ، ويتخلون عن الطفولة . معهم أباريق من عظام الشهداء فيهـا ماء أحمر يصبون في فم أبو علي اياد : اشرب ياعم ابو علي ، انـت ظمآن .. عبدالله يصرخ انا زنجي من الداخل . انا منفي هذا الزمان العجيب المجنون .

يضمها بين ذراعيه : يرتفع صوتها : انا امك : احبك .. لكنها تناى عنه : لماذا يا حبيبتي يا امي .. جئت لاعود الى رحمك .. ترد عليه : المسافة طويلة يا عبدالله .

انني عبدالله : يسير الان في شارع النيل بالقاهرة معي بردي والفرات نبتسم معا : النيل رائق . يومي لنا . نتحاضن (نحـن اصدقاء منذ زمن طويل) .

ما اسمك يا حبيبتي ؟

تجيبني : امينة .

احبك يا امينة .. ترش على راسي ازهار الفل : (فل عليك) ياتي الينا مئات العمال من مصنع ابو زعبل يغنون لنا ، يزفوننـا للعريس : الف سلام . للعروس الف سلام . دقي يا مزيكا ..

يغنون لنا بلدي يا بلدي .. وانا عاوز أروح بلدي ...

يا حبيبتي يا آمنة من اين انت ؟

ـ من الاسماعيلية ياحبيبي... (وجهك خمري مثل النيل ياواحدتي) (وجهك اخضر مثل اشجار برتقال اريحا يا حبيبي) .

نشيد :

الارض يابسة . تشققت ظما

تنهداتها تصل السماء

من الذي يسمع غيري ؟

تعالوا .. يا أحبائي الذين تسمعون

(واقف .. واقف عنترة

شرش الرمح والسهم في الحاضرة) (٢)

صوت خاص :

انا الفلسطيني محكوم عليّ ان لا اعرف الفرح . انا الفلسطيني محكوم عليّ ان اقتل من أمام ومن خلف .

انا الفلسطيني (زنجي) هذا العصر العجيب ..

انا الوحيد المحكوم عليّ ان لا اعرف الحب ..

(لكنني افجر الحب رغم كل شيء) .

التنهدات اخفيها في قلبي ، والدموع تسيل في داخلي ..

لماذا السماء لا تمطر ؟

لماذا الربيع لا يأتي .. (هانذا احترق ... لادلكم على الدرب)

تعالوا ... تعالوا .... تعالوا ...

كي لا يضيع النيل والفرات

اغنيـة :

عاروس الجبالي لاشعل النـار وامشي عاجراحي

اغنية اخـرى :

روحنا عالقواعـد روحنا لوحنا بالبنادق لوحنـا

ملاحظة : جسد عبدالله ينزف .. ولكنه يمشي .. يمشي..يمشي

ملاحظة اخرى :: عبدالله عاشق .انه يفتش عن حبيبته منذعشرات السنين ، ما دله احد ، لكنه يبحث (يشعر احيانا انها في دمـه) من الصعب ان تعرفوا مقدرته على الحب .

رشاد ابو شاور

(٢) من قصيدة للشاعر خالد ابو خالد